الرصافي في عيون الجواهري

أ.م.د. محمد حسون نهاي
الجامعة العراقية/ كلية الآداب قسم اللغة العربية

المستخلص:
يستكشف هذا البحث العلاقة الأدبية والشخصية بين الشاعرين العراقيين الكبيرين معروف الرصافي ومحمد مهدي الجواهري، وكيف تجلّت هذه العلاقة في حياة الجواهري وشعره ، إذ استعرض هذا المحور قصائد الشاعر الجواهري التي ذكر فيها الشاعر الرصافي، وعني بتحليلها من حيث الموضوع واللغة والصورة الشعرية.
ومن أهم أهداف هذا البحث –كذلك–، هو الإسهام في توثيق مرحلة مهمة من تاريخ الأدب العراقي الحديث، حيث كان الرصافي والجواهري من أبرز روادها ، إذ سعى البحث إلى إبراز مكانة الرصافي في الأدب العراقي الحديث عبر الإفصاح عن منزلته لدى شاعر بحجم الجواهري .
إن دراستنا لطبيعة العلاقة بين الشاعرين تدفعنا إلى سبر أغوار هذه العلاقة عبر تقصي الأخبار والأشعار التي أفصح الجواهري فيها عن شعوره تجاه الرصافي، إذ تبيّن لنا أن هذا الحضور لم يكن مجرّد تقليد أو تأثّر عابر، بل كان امتداداً فكرياً وأدبياً يعكس تواصل الأجيال الشعرية في الدفاع عن قضايا الأمة المصيرية ، لقد مثّل الرصافي مدرسة شعرية وطنية متكاملة، تجلّت مبادؤها في شعر الجواهري الذي حمل على عاتقه مسؤولية التعبير عن هموم الشعب وطموحاته .
لقد رأينا كيف تأثّر الجواهري بوضوح بنهج الرصافي في طرح القضايا الاجتماعية والسياسية، لأن الشاعر الرصافي متجذر في وجدان الشاعر الجواهري قبل التمظهر بشعره، ومن مظاهر ذلك الحضور هو مطالبة الشاعر الجواهري– في كثير من المواطن– بإنصاف الرصافي قولاً وفعلاً ، فضلاً عن القصائد الجواهرية المفعمة بالحب والعاطفة الجيَّاشة التي سطرها الشاعر الجواهري في الرصافي في حياته، وبعد مماته، مع التزامه بنقل الواقع بصورته الصادقة، بعيداً عن التكلّف والمجاملة، ومع ذلك، لم يكن هذا الحضور على حساب شخصية الجواهري الشعرية، بل كان مصدر إلهام دفعه إلى تقديم إبداعه بأسلوبه الخاص وروحه المتفرِّدة .
وبذلك، يمكن القول: إن حضور الرصافي في شعر الجواهري ، هو حضور فكر ومدرسة شعرية، اتحدت في رؤيتها الوطنية والإنسانية، إذ تؤكد الدور الفاعل للشعر في توعية المجتمع والدفاع عن قضاياه العادلة.

الكلمات المفتاحية: الرصافي، عيون، الجواهري

Abstract:
This research explores the literary and personal relationship between the two great Iraqi poets Marouf al-Rusafi and Muhammad Mahdi al-Jawahiri, and how this relationship was manifested in al-Jawahiri's life and poetry. This section reviewed the poet al-Jawahiri's poems in which he mentioned the poet al-Rusafi, and analyzed them in terms of subject matter, language, and poetic form.
One of the most important goals of this research is to contribute to documenting an important stage in the history of modern Iraqi literature, where Al-Rusafi and Al-Jawahiri were among its most prominent pioneers. The research sought to highlight Al-Rusafi's position in modern Iraqi literature by revealing his status with a poet of the caliber of Al-Jawahiri.
Our study of the nature of the relationship between the two poets prompts us to explore the depths of this relationship by examining the news and poems in which Al-Jawahri expressed his feelings towards Al-Rusafi, as it became clear to us that this presence was not just an imitation or a passing influence, but rather was

an intellectual and literary extension that reflects the continuity of poetic generations. In defending the nation›s crucial issues, Al–Rusafi represented an integrated national poetic school, the principles of which were evident in the poetry of Al–Jawahiri, who shouldered the responsibility of expressing the people›s concerns and aspirations.

We have seen how Al–Jawahiri was clearly influenced by Al–Rusafi's approach in raising social and political issues, because the poet Al–Rusafi was rooted in the conscience of the poet Al–Jawahiri before appearing in his poetry, and one of the manifestations of that presence is the poet Al–Jawahiri's demand – in many cases – to do justice to Al–Rusafi in word and deed, in addition to the Al–Jawahiri poems filled with love and intense emotion that the poet Al–Jawahiri wrote. In Al–Rusafi during his life, and after his death, with his commitment to conveying reality in its honest image, away from affectation and politeness. However, this presence was not at the expense of Al–Jawahiri's poetic personality, but rather it was a source of inspiration that pushed him to present his creativity in his own style and unique spirit.

Thus, it can be said: Al–Rusafi's presence in Al–Jawahiri's poetry is the presence of thought and a poetic school, united in its national and humanitarian vision, as it emphasizes the effective role of poetry in educating society and defending its just causes.

.Keywords: Al–Rusafi/ Eyes/ Al–Jawahiri

المقدمة :

يستكشف هذا البحث العلاقة الأدبية والشخصية بين الشاعرين العراقيين الكبيرين معروف الرصافي ومحمد مهدي الجواهري، وكيف تجلّت هذه العلاقة في حياة الجواهري وشعره ، إذ يستعرض هذا المحور قصائد الشاعر الجواهري التي ذكر فيها الشاعر الرصافي، وتحليلها من حيث الموضوع واللغة والصورة الشعرية.

ومن أهم أهداف هذا البحث –كذلك–، هو الإسهام في توثيق مرحلة مهمة من تاريخ الأدب العراقي الحديث، حيث كان الرصافي والجواهري من أبرز روادها ، إذ يسعى البحث إلى إبراز مكانة الرصافي في الأدب العراقي الحديث عبر الإفصاح عن منزلته لدى شاعر بحجم الجواهري .

إن دراستنا لطبيعة العلاقة بين الشاعرين تدفعنا إلى سبر أغوار هذه العلاقة عبر تقصي الأخبار والأشعار التي أفصح الجواهري فيها عن شعوره تجاه الرصافي، إذ ارتأينا أن نقسم دراستنا على مبحثين:

المبحث الأول : الرصافي في عيون أخبار الجواهري

المبحث الثاني : الرصافي في عيون شعر الجواهري

واختتمنا البحث ببعض النتائج التي تمخضت لنا من اقتفاء أثر الشاعرين ورصد شعرهما .

المبحث الأول:

الرصافي في عيون أخبار الجواهري

على الرغم من البون الواسع، والاختلاف الشاسع بين البيئة التي ولد فيها الرصافي، وبين البيئة التي ولد

فيها الجواهري، إذ ان الأول ولد في بغداد عام ١٨٧٥م(١)، في حين ولد الثاني في النجف الأشرف عام ١٩٠٠م(٢). (في بيت ديني عربي متوسط وعريق كذلك يجاور المرقد العلوي)(٣)، وفي (بيئة تسيطر عليها الأعراف والتقاليد)(٤)، كذلك الفارق الكبير في السن بين الشاعرين، على الرغم من كل ذلك نجد القرب الروحي والنفسي والمزاجي، ووحدة الهدف بينهما متأصلة، كل هذه الامور مجتمعة دفعت الجواهري إلى الميلِ نحو الرصافي ومحاولة إكمال مسيرته.

يرصد البحث طبيعة العلاقة التي جمعت الشاعرين ومدى حضور الرصافي في روح الجواهري وضميره ووجدانه، إذ افصح الجواهري في كثير من المواطن عن مستوى العلاقة التي تربطه بالشاعر الرصافي، ومدى تفاعله معه في حياته وبعد وفاته، ومصداق هذا المعنى تجلى في قوله: (ابتدأت من هنا، ولأول مرة، علاقة ود وإخلاص وأمانة بيني وبين الرصافي ... ومن فخاري أن أكون شريك الرصافي في أحاسيس الشاعر بنفسه، وكرامته وموقفه وموقعه)(٥). وأضاف قائلاً: (الرصافي الذي كنت وما ازال على أشد الانسجام مع شخصه وشخصيته على الرغم من قصر مدة التقائي به)(٦). ففي منتصف العشرينيات بدأت ملامح النبوغ الشعري تبدو واضحة على محيا الشاعر الجواهري ووجد في نفسه القدرة على مجاراة فحول شعراء عصره، بل ربما بديلاً عنهم وصرّح الشاعر عن هذا المعنى بقوله : (ولا بد لي من أن اشير إلى إنني في هذا الوقت قد بدأت لكيما أكون بديلاً لكل من ابتدأ يلفظ نفسه الشعري من الرعيل الأول قبلي)(٧) .

إن إيمان الشاعر الجواهري بما يتمتع به الرصافي من با ع طويل في الشعر جعله يلتمس له الأعذار جراء التقهقر الشعري الذي انتاب مسيرة الشاعر في عقديه الاخيرين إذ قال: (كان الرصافي حتى عام ١٩٢٥– ١٩٢٦ محتفظاً بمكانته ومن ثم بدأ بالنزول لماذا ؟ لأن هناك عوامل مختلفة كان الرصافي بريئاً منها كلها، ولكنه وللتاريخ، بقي شاعراً وهو لا يستطيع أن يكون إلا كذلك – حتى لو أعطي الدنيا كلها، وهذه طبيعة كل شاعر أصيل وبحق)(٨) . ثم علل الشاعر الجواهري أفول نجم الرصافي– نسبياً– عن سماء الشعر في سنواته الأخيرة بقوله : (لقد دفع بسبب مواقفه أثماناً غالية حتى وفاته، ولم يغير ذلك شيئاً مما خلق له ولما بعده)(٩).

ويبدو أن الشاعر الجواهري كان يراقب عن كثب شاعره المفضّل (الرصافي)، ويتلقف بشغف كل ما تجود به قريحته الشعرية، وتجلى هذا المعنى بقوله : وكانت آخر قصيدة له في عقد العشرينيات وهي من الأنموذج الأعلى من شعره هي قصيدة (العِلم والعَلم)(١٠) .

ومن أجل البرهنة على صِحة ما ذهب إليه، استشهد الجواهري بأبيات الرصافي الآتية :

لواعج الهم في جنبيّ تضطرم ... والهم مقداره من أهله الهمم
كم أذاقتني الأيام من حرق ... من فوقها أسف من تحتها ألم
أكلما قلت شعراً قال سامعه ... نار تفوه بها للناس أم كلم
ما بال شعرك مثل النار ملتهباً ... يذكو على أنه كالماء منسجم
إنّا لنعجب من شعر تؤججه ... نار ولم يحترق في كفك القلم
لا تعجبوا فالأسى في النفس ... ملتهباً والعزم متقد والهم محتدم
استبرَدَ النار من حرّت عزائمه ... واستصغر الخطب من في نفسه عظم
وكيف يصبح من دنياه في دعةٌ ... من بات في نفسه الآمال تزدحم(١١)

ثم يواصل الشاعر الجواهري دفاعه عن الشاعر الرصافي، إذ سعى جاهداً إلى رفع الحيف عنه ورد الاعتبار له بوصفه الوجه الناصع للشعر العراقي آنذاك، ومن ذلك قوله : (ولا اجدني وأنا بصدد الحديث عن الشاعر الشاعر، والفنان الفنان، إلا أن أحاول تصحيح التاريخ المزور والذي يحاول الكثيرون لغرض بل ولأكثر من غرض واحد أن يتناسوا ما هو أمر مفروغ منه في كل تاريخ الشعر العربي من قرابة عشرين قرناً حتى اليوم من أن الشاعر الأصيل والفنان الأصيل لا يمكن أن يكون بوسعه معاطاة الشعر والفن في مرحلة من حياته، ثم أن يمسخ بعدها

خلقاً آخر ليكون تاجراً مثلاً أو موظفاً)(١٢).

ثم أردف الجواهري قائلاً: (وحتى (الوزارة) و(النيابة) أو (العينية) في مجلس أعيان فكلها وظائف ليس إلا وكلها إرادات ملكية ومراسيم ثم أن يبقى المحرفون المثرثرون والحاقدون والحاسدون لمجرد النيل من ذلك الشاعر الأصيل وهذا وذاك الفنان الأصيل وغيره وهم يحررون ما تبقى من أذيال من كانوا قبل اليوم شعراء وبعد اليوم موظفين خلق (شوقي) ليكون شاعراً وليموت شاعراً ولمثل ذلك خلق(حافظ ابراهيم) في مصر، (وبدوي الجبل) في سوريا، و(الرصافي) في العراق)(١٣) .

في هذا النص اختزل الجواهري كل شعراء العراق بشخص الرصافي ، لكن على غفلة من الزمن يفاجأ بحادثة جعلته مدهوشاً وقد صرّح الشاعر عما انتابه حينئذ قائلاً : (في جملة ملفات البلاط الملكي ... لم تكن مفاجأة أن أعثر في هذا الملف على رسالة للزهاوي بخط يده يطلب فيها من الملك أن يكون شاعره الخاص، وإنما كانت المفاجأة – وكم أرجو أن يكون هناك من يخطؤني في ذلك – هي رسالة بخط يد الرصافي أيضاً، وكأنه يتسابق مع الزهاوي في هذا الصدد)(١٤).

نستشف من هذا النص مدى تعلق الجواهري بالرصافي إلى الحد الذي يكاد لا يصدق ما رأى بأم عينيه.

وقد ظلّت عيون الجواهري ترقب الرصافي في حركاته وسكناته، حتى وهو يوجه سياط شعره للملك فيصل الأول نفسه إبّان فيضان نهر دجلة سنة ١٩٢٧م إذ قال :

ليت شعري أبلاط أم ملاط أم مليك بالمخانيث يحـاط
غضب الله على ساكنـه فتداعى ساقطاً ذك البلاط(١٥)

ثم انبرى الرصافي هاجياً الملك في قصيدة أخرى أشد وطأة من سابقتها إذ قال:

لنا ملك تأبى عصابة رأسه لها غير سيف التيمسيين عاصباً
ليس له من أمره غير أنـه يـعدد أياماً ويقبض راتباً(١٦).

حينما تناهت هذه الأبيات إلى مسامع الجواهري، أدرك عِظَم الخطب، لاسيما وأنه جرى (في محفل وفي مجتمع كالمحافل والمجتمعات اللبنانية وفي صحف رائجة)(١٧). فاجتهد في إيجاد مخرج للرصافي من هذا المأزق قائلا : (إن الرصافي كان في هذه الفترة بالذات في الذروة من أصالة الثائر والمتمرد ... من هنا بداية سوء ظن الرصافي عبر ما تكشفت عنه الحوادث والظروف مروراً بما كان يراه في حال العراق في عهد الاحتلال والانتداب... كان الامر مع ذلك طبيعياً، شاءته طبيعة الامور أن يثور الرصافي على وضع كهذا، وعلى الرموز الاولى لهذا الوضع)(١٨).

ثم أدرك الجواهري أن هذه الروح الثورية والمتمردة – التي أبتلي بها الرصافي– ، أبعدته عن المباهج والمغانم، وساقته إلى إتون المصاعب والمغارم، ثم تساءل الجواهري عن سخرية القدر بقوله: (لماذا يموت الرصافي في عاصمة وطنه على سرير حديدي عتيق مما يباع في سوق المزاد بأقل من دينار؟ ولماذا لا تسدل عنده ستارة حتى وأن من قماش رخيص على النوافذ الزجاجية التي تضج بما يشبه وهج النار من قيظ العراق؟ ولماذا لا يوجد كرسي في حجرته وإنه من خشب عتيق ليستقبل عائداً من عواده، لو كان هناك من يعوده؟)(١٩) .

إن روح الرصافي الثورية والمتمردة – التي مرّ ذكرها آنفا – كانت تخفي خلفها عاطفة جياشة وخير كثير والدليل على ذلك قصائده المفعمة بالمشاعر والأحاسيس الرقيقة من أمثال قصيدة (الأم المرضعة)، (اليتيم)، وقد أكد الجواهري هذا المعنى في معرض حديثه عن الرصافي قائلاً: (عَنّ لي ذات يوم وانا اتحدث عن الثلاثينات أن أزور الرصافي في بيته وكان يسكن في محلة (الصابونجية) .. ما رواه إلي واحد من اشد المحبين إلى الرصافي ... جاءته ذات يوم واحدة ... قائلة...يا أستاذ الرصافي ..أنا بحاجة ماسة لدفع دين عليّ وهو خمسون ديناراً ... فما كان من الرصافي إلا أن سكت لحظة ثم تحدّرت دموعه...ولماذا دموعك يا أستاذ... فقال لها يا ابنتي ليس لأنك أنت بالذات المحببة إليّ تطلبين مثل هذا المبلغ الزهيد ولكن لمجرد أن انساناً يطلب مني حاجة أنا عاجز عن تلبيتها)(٢٠) .

نستشف مما مرّ ذكره أن الشاعر الجواهري عني باقتفاء أثر الشاعر لرصافي ، وتتبع أخباره ، لأنه كان يرى فيه (الشاعر الفحل) الذي لم ينصفه الدهر،إذ عاش فقيراً ،كسيراً إلى نهاية العمر .

المبحث الثاني :

الرصافي في عيون شعر الجواهري

– ما قاله الشاعر الجواهري في الرصافي في حياته:

هذا المبحث سوف نستحضر فيه عيون الشعر الذي جادت به قريحة الشاعر الجواهري، للتعبير عن حبه الكبير للشاعر الرصافي، ولكن لا ضير في أن نستهل ذلك بقصيدته (أجب أيها القلب) التي لها مدخلية فيما بعد بمد جسور الشعر بين الشاعرين (الجواهري والرصافي)، إذ جاء فيها:(٢١).

أعيذ القوافي زاهيات المطالعِ مزامير عزاف أغاريد ساجـعِ
لطافا بأفواه الرواة نوافذاً إلى القلب يجري سحرها في المسامعِ
تكاد تحس القلب بين سطورها وتمسح بالأردان مجرى المدامعِ
برمت بلوم اللائمين وقولهم أأنت إلى تغريده غير راجــعِ
أأنت تركت الشعر غير محاول أم الشعر إذ حاولت غير مطاوع
وهل نضبت تلك العواطف ثرة لطافاً مجاريها غزار المنابـعِ
أجب أيها القلب الذي لست ناطق إذا لم أشاوره ولست بسامـعِ(٢٢).

أثارت هذه القصيدة شاعرية عدد كبير من الشعراء العراقيين الذين شاطروا الشاعر الجواهري ألمه وحزنه، وفي مقدمة أولئك الشعراء، الشاعر معروف عبد الغني الرصافي، الذي تفاعل مع هذه القصيدة فانبرى قائلاً:

أقول لرب الشعر مهدي الجواهري إلى كم تناغي بالقوافي السواحر
فترسلها غراً هواتـف بالعلـى يزود منها سمعه كل شـاعر
وتشدو بها والقوم صمّ عن العلى فلم تلق إلا غير واع وذاكـر
أترجو من الحساد عوناً وناصراً فتدعو منهم خاذلاً غير ناصر
كأنك لم تبصر سواد قلوبـهم فهل أنت مغرور ببيض المَسافر(٢٣).

ظلت شعلة الوفاء – للرصافي– متقدة في قلب الشاعر الجواهري، إذ لم يغب الرصافي عن دائرة اهتمامه، وقد عبر الشاعر الجواهري عن طبيعة تلك العلاقة التي تربطه بالشاعر الرصافي وهي علاقة قائمة على توقير الشاعر الرصافي واحترام خصوصيته وقد عبر الشاعر الجواهري – في كثير من المواطن– عن هذا المعنى، ومن ذلك قوله : (ومع كل هذه الدالات، وكل هذه الخصوصيات، لا اتذكر أني تطفلت على مجلس الرصافي في مقهاه المفضل ولا في داره في (الصابونجية) أكثر من مرة أو مرتين وذلك طيلة عشر سنوات من اللقاء الأول في المقهى وحتى العام الأربعين بعد التسعمئة والألف، أعني حتى تاريخ اهتزاز الرصافي وهو آنذاك في الفلوجة بقصيدتي أجب أيها القلب)(٢٤) .

ونتيجة لذلك، انتاب الجواهري شعور جارف بالحنين إلى أيام مجد الرصافي وزهوها فصدح قائلاً بقصيدته (إلى الرصافي)(٢٥):

تمرست بالأولى فكنت المغامرا وفكرت بالأخرى فكنت المجاهرا
وفضلت عيشا بيـن تلك وهذه به كنت بل لولاه ما كنت شاعراً
وما الشعر إلا مـا تفتق نـوره عن الذهن مشبوباً عن الفكر حائرا
عن النفس جاشت فاستجاشت بفيضها عن القلب مرتج العواطف زاخـرا
وما زجّ في شتى المهاوي برّبه وقحّمه (النهجين) قصـداً وجائـرا
وما هو بالحبل الذي رحت مرغما (أوائله) أن تلتقـي و(الأواخـرا)

يمثل نص الجواهري في مدح الرصافي أنموذجاً من التعبير الشعري الذي يجمع بين العمق الفكري والحرية الإبداعية إذ وظف الشاعر الجواهري هذا النص ليعبر عن فلسفته في الشعر، مؤكّداً أن الشعر الحقيقي ينبثق من توازن بين التجربة الحية والفكر العميق، ومتحرراً من قيود الأساليب التقليدية، إذ أظهر عبر هذا النص مدى تقديره للرَصافي الذي جسّد مفهوم التحرر من القيود بشتى صورها فإبتدأ الجواهري قصيدته بنبرة تصريح ذاتي، قائلاً:

تمرست بالأولى فكنت المغامرا وفكرت بالأخرى فكنت المجاهرا

أكد الجواهري في حديثه عن الرصافي أن الأخير اتخذ مسارين مختلفين في مسيرته الأدبية: التجربة العملية (المغامرة) ، والتعبير الفكري (الجهر بالرأي) – وهو ما أتاح له الوصول إلى حد الشاعرية الحقيقية فالابتعاد عن الرتابة والتقليد ، كان سبباً رئيساً في تنوع طروحاته، وتجدد إبداعه، كما أن أساس الشعر هو نتاج للتفاعل بين الفكر المتوقد والعاطفة المتوثبة .

واستمر النص يدور في فلك التأكيد على أن الشعر ليس مجرد تقليد للأشكال والقوالب الجاهزة، بل هو نتاج اندماج الوهج الفكري (الذي تفتق نوره) مع العاطفة المتدفقة من القلب والنفس، مما يبرز أن الشعر ينمو من وحي داخلي يتمثل في تجليات الفكر والعاطفة، من دون التقيّد بإطار محدد سلفاً، إذ تمظهر ذلك في قوله:

وما الشعر إلا ما تفتق نوره عن الذهن مشبوباً عن الفكر حائراً

تبدو في النص نبرة نقدية تجاه الأساليب التقليدية التي دأب عليها بعض الشعراء – ما خلا الرصافي– والتي تقيد حرية التعبير الشعري، إذ أشار الجواهري إلى رفض الرصافي طوال مسيرته لتلك القيود التي من شأنها تكبيل فكر الفرد عن أداء مهامه وواجباته، فتجلى ذلك في قوله:

وما هو بالحبل الذي رحت مرغما (أوائله) أن تلتقي و(الأواخرا)

استهل الجواهري هذا البيت الشعري بنفي أن يكون شعر الرصافي هو مجرد حبل يربط بين أطراف متباعدة وعبارة (مرغما أوائله أن تلتقي بالأواخرا) تشير إلى أن الشاعر لا يكتب الشعر مجبراً أو قسراً، بل هو تعبير عن إرادة حرة وتجربة شخصية.

وأشار الشاعر –كذلك – إلى أن الشعر ليس مجرد تجميع اعتباطي للكلمات، بل هو بناء عضوي متكامل، حيث تتصل بداياته بنهاياته بشكل طبيعي ومنطقي، فالشعر الحقيقي هو الذي يحمل في طياته رؤية متكاملة وتجربة متصلة، وليس مجرد مجموعة من الأفكار المتناثرة المعنى المتراصة الشكل .

عبّر الجواهري – في معرض ثنائه على الرصافي– عن رفضه لأي محاولة لإجبار الشاعر على الالتزام بأسلوب أو نمط جامد، مشدداً على أن الحرية الإبداعية تكمن في القدرة على الاختيار بين مسارين مختلفين من دون تقييد .

عكس نص الجواهري – في مدح الرَصافي– رؤية شعرية تجمع بين التجربة الشخصية والفكر العميق، مع التأكيد على حرية التعبير والابتعاد عن القيود التقليدية عن طريق الصور البلاغية القوية، والبنية المتماسكة، والنبرة النقدية، إذ أظهر الجواهري أن الإبداع الحقيقي ينبع من تفاعل الوهج الفكري مع العاطفة الحرة، وأن الشعر لا يمكن أن يُصنع بالتقليد الآلي بل بالتجديد والتنوع في الأساليب وهذا ما جعل الشاعر الرصافي أنموذجاً فنياً يحتذى به في عالم الشعر ، المناوئ للظلم ، والمناهض للجمود والتخلف .

تمثل هذه القصيدة أنموذجاً للتعبير الشعري المتحرر الذي يعكس فلسفة الجواهري في التعامل مع الشعر والإبداع. ففيها يثني على الرَصافي عبر استحضار تجربته الشخصية التي تجمع بين طرفي: الجانب العملي والمغامرة من جهة، والعمق الفكري والمجاهرة من جهة أخرى. وتظهر الأبيات رفضه للتقليد والتشبث بالأساليب المقيدة، إذ يرى أن الشعر الحقيقي ينبثق من اندماج الفكر مع العاطفة في صورة متحررة ومتجددة.

واستمر الشاعر الجواهري في توظيف ضمير المخاطب في التعبير عن جوهر الرصافي قائلاً:

وكنت جريئاً حين يدعوك خاطر من الفكر أن تدعو إليك المخاطرا

على ثقة أن لست في الناس واجدا على مثله – إلا القليل – مناصرا

وكنت صريحا في حياتك كلها وكان– ومازال المصارح – نادرا(٢٦).

يمثل هذا المقطع من قصيدة الجواهري – في مدح الرصافي – مثالاً على المديح الذي يرتكز على إبراز صفات الممدوح كشخصية نبيلة واستثنائية، حيث أظهر الشاعر تقديره العالي للرَصافي عن طريق تسليط الضوء على ثلاثة محاور رئيسة في شخصيته وهي: الجرأة الفكرية، والتميّز الفردي، والصدق في التعامل مع الآخرين، إذ حرص الجواهري على توظيف لغة بليغة، وتراكيب متقنة، لتقديم صورة ذهنية وافية عن الرصافي كشخص لا يخضع للتيارات العامة، بل يتميز بصفاته الفريدة التي تجعله رمزاً للكرامة والجرأة.

يُعد هذا المقطع من قصيدة الجواهري في مدح الرَصافي بياناً فنياً ونقدياً في آن واحد، فهو يجمع بين الثناء على صفات النخبة من الشخصيات (الرصافي انموذجاً)، وبين نقد السلوكيات الشائعة في المجتمع ، فعن طريق إبراز الجرأة الفكرية، والتفرد، والصراحة، يعرض الجواهري صورة الرَصافي كشخصية فريدة تستحق الإعجاب والاقتداء، مؤكداً أن القيم النبيلة مثل الشجاعة والصدق هي ما يميز الإنسان الحقيقي من غيره.

افصح الشاعر الجواهري عن الجو الذي اكتنف هذه القصيدة بقوله : (أردنا عندما ناغينا الشاعر العربي العظيم الأستاذ «الرصافي»، أن يكون لنا شرف تذكره وهو في عزلته الموحشة، فكان لنا إلى جانب ذلك أيضًا شرف ابتعاث شاعريته الفذة، التي حالت حوائل المرض والانعزال و«النقمة»، دون تمتع المعجبين في شتى الأقطار العربية بنتاجها)(٢٧) .

ثم حرص الشاعر الجواهري على استمالة القلوب، وتوجيه الأنظار، وتهيئة الأسماع، لما سيقوله الرصافي وتمثل هذا المعنى في قوله: (أما وقد هززنا الأسد الرابض الضائق ذرعاً بعرينه، المنطوي على نفسه ألماً وغضباً وكبرياء، فليكن لنا شرف الاستماع إلى زئيره)(٢٨) .

يبدو أن الشاعر الجواهري نجح في إخراج مارد الشعر من قمقمه ، إذ صدح الرصافي بقصيدة عنوانها: (إلى الجواهري) وهي أشبه ما تكون برسالة شكر وعرفان بعثها الرصافي للجواهري، نظراً لحبه ووفائه له، نذكر منها قوله:

بك الشعر لا بيَ أصبح اليوم زاهراً وقد كنت قبل اليوم مثلك شاعرا
فأنت الذي ألقتْ مقاليد أمرها إليه القوافي شُرَّداً ونوافرا
إذا قلت شعراً قلته في بداعةٍ فكان به المعنى بديعاً وباهرا
وإن أنت أطلقت النفوس من الأسى بإنشاده يوماً أسرت المشاعرا
بلغت من الإبداع أرفعَ ذروةٍ هوى النجم عنها صاغراً متقاصرا
وإنك أرقى الناطقينَ تكلماً بحقٍّ وأنقى الساكتين ضمائرا
إذا شِيءَ ظلمٌ قُمْتَ للظلم رادعاً وإنْ سِيءَ حقٌّ قمت للحق ناصرا
لئن كنت تنمَى للجواهر نسبة لقد كنت تحلو بالبيان جواهرا
نماك أب بالعلم شيَّد مجده وخلَّد منه في الزمان المآثرا
ومدَّ من الآداب فيه سُرادقاً وأكثر فيه للبنينَ المفَاخرا
فلا عجبٌ أن تنظم الشعر رائعاً أنيقَ المعاني زاهيَ اللفظ زاهرا(٢٩)

– ما قاله الشاعر الجواهري في الشاعر الرصافي بعد وفاته:

احتل الرصافي مكانة كبيرة في قلب الشاعر الجواهري وهذ الأمر تثبته وتبرهن على صحته الشواهد والوقائع التي مرّ ذكرها، وفي هذا المقام لدينا ما يعزز ما ذهبنا إليه وهي قصائده الرثائية في الشاعر ومنها قصيدته العصماء (معروف الرصافي) التي نحن بصددها والتي تألفت من مئة وخمسة عشر بيتاً، والتي تفصح عن حجم الأثر الذي أحدثه فقدان الشاعر الرصافي في قلب الشاعر الجواهري ووجدانه، وقد اخترنا منها ما يأتي :

لاقيت ربك بالضمير وأنرت داجية القبور

أشعت في الأبد البهيم طلاقة الأبد المنير
وذهبت لم تعلق يداك بغير مكرمة وخير
معروف أمس منحتني عطف الكبير على الصغير
واسيت جرحي إنّ جرحك ناغر جم البثور
ماكنت يا (معروف) من عدم العضيد ولا النصير
كنت الركين على القلو ب ، المستفيض على الثغور
(معروف) نم فوق التراب فلست من أهل الحرير
(معروف) نم فوق التراب مضمخا بشذا العطور
بالمحسنات الصنع لم تطلب بها أجر الشكور
معروف كنت تعبّ من ضنك وفكر في غدير
أنا منهما أسقي وأشرب بالصغير وبالكبير
ما كان اشبهنا وما أدنى مصيرك من مصيري
إنا كلانا نازلان من القضاء على حفير(٣٠).

نستشف حين نسبر أغوار هذا النص، مدى حرص الشاعر الجواهري على تكثيف قصيدته بلغة شعرية موحية ذات وقع مؤثر في الملتقي ، إذ يمكن تلمس هذا المعنى عبر المستويات الآتية:

– المستوى المعجمي: اعتمدت لغة القصيدة على ألفاظ جزلة وقوية، تنتمي إلى معجم الرثاء والتأبين، مثل: (لبيت ربك، أنرت داجية القبور، نم فوق التراب، بالحسنات، العضيد، النصير ...إلخ) .

وتكررت الألفاظ الدالة على الكرم والعطاء مثل: (المكرمة، الخير، عطف، واسيت، المستفيض... إلخ)

كما نجح الشاعر الجواهري في توظيف كلمات توحي بالتواضع والزهد مثل: (فلست من أهل الحرير، نم فوق التراب) .

– المستوى التركيبي : وردت معظم الجمل خبرية ، وهذا يعكس رغبة الشاعر في تقرير الحقائق عن الفقيد ورثائه وبيان مناقبة ، يضاف إلى ذلك توظيف أساليب النداء والالتفات مثل: (ماكنت يا معروف)، مما يضفي طابعاً وجدانياً لافتاً ومؤثرا.

توظيف النفي لإبراز الفضائل: (ماكنت منعدم العضيد) و(فلست من أهل الحرير) ،لإظهار مكانة المرثي .

– المستوى البلاغي: (الصور البيانية)

الاستعارة: وتجلّت في قوله :(أنرت داجية القبور) وهذا تصوير للفقيد كالنور الذي يبدد ظلمة الموت .

الكناية: وتمثلت في قوله : (فلست من أهل الحرير)، كناية عن الزهد في مباهج الحياة والتواضع .

– المستوى الإيقاعي: الوزن والقافية: إن القصيدة اعتمدت على وزن متناسق، وقافية موحدة، مما منحها جرساً موسيقياً مؤثرا .

التكرار: وتجلى في تكرار اسم (معروف) لأكثر من مرة ، والذي من شأنه ترسيخ صورة الفقيد ، ويزيد من التأثير العاطفي .

وثمة قصيدة أخرى بعنوان (الرصافي) أراد لها الشاعر أن تكون كسابقتها في الحجم والمكانة ، لكن صروف الدهر حالت دون ذلك، نذكر منها:(٣١) .

لغز الحياة وحيرة الألباب أن يستحيل الفكر محض تراب
أن يصبح القلب الذكي مفازة جرداء حتى من خفوق سراب
فيم التحايل بالخلود وملهم لحفيرة ومفكر لتباب(٣٢).

القصيدة تستعرض فلسفة الحياة والموت عن طريق رثاء الشاعر الجواهري للشاعر معروف الرصافي، الذي يعد

أحد رموز الأدب العربي، إذ عبّر الشاعر عن حزنه العميق، لفقدان الرصافي، وتأمل في المصير الإنساني الذي يحول الفكر والعقل إلى تراب، متسائلاً عن جدوى العبقرية أمام حتمية الفناء .

إن هول صدمة الشاعر الجواهري بفقدان الرصافي جعلته يطرح تساؤلات وجودية حول لغز الموت، مستنكراً كيف يتحول الفكر والعقل إلى عدم ؟ إذ أشار الجواهري– في هذا النص– إلى عبثية محاولات الإنسان للخلود، حيث ينتهي العباقرة في القبور مثلهم مثل غيرهم من بني البشر، القصيدة تعكس شعوراً بالأسى على فقدان الرصافي كرمز للعبقرية والأدب، وتظهر الحسرة واللوعة على خسارة القيم التي يمثلها.

إن من يمعن النظر في القصيدة التي نظمها الجواهري في رثاء الرصافي سيجد أنها تزخر بالتعبيرات البلاغية والصور الفنية، التي تعكس عبقرية الشاعر وقدرته على استحضار الأفكار العميقة بأسلوب جمالي مُبدع ، ومن الصور البيانية والتعابير الفلسفية، التي لها نصيب وافر في قصيدته نرصد منها الآتي:

– التعبير الفلسفي والتأملي: وذلك في قوله : (لغز الحياة وحيرة الألباب ... أن يستحيل الفكر محض تراب) ف (اللغز والحيرة): مفردتان تعكسان تعقيد الحياة وصعوبة فك رموزها، أما (استحالة الفكر إلى تراب): فهي صورة بلاغية تمثل زوال العقل والفكر بعد الموت، وهو تصوير يشحن البيت بحس فلسفي وجودي، والتعبير هنا يثير تساؤلات عميقة عن مغزى الحياة والمصير البشري، مما يعكس تأمل الشاعر في حقيقة الموت والفناء.

– الاستعارة: وتمثل هذا المعنى في قوله : (أن يصبح القلب الذكي مفازة ... جرداء حتى من خفوق سراب) ف (القلب الذكي مفازة جرداء): استعارة مكنية حيث يصور الشاعر القلب بوادٍ قاحل يخلو من الحياة، حتى من أقل مظاهرها وهو السراب، إن هذا التصوير المكاني يعكس خلو المشاعر من الإبداع والحيوية بعد زوال صاحبها، وهو إسقاط على فقدان العبقرية والإبداع مع موت الشاعر الرصافي .

– أسلوب الاستفهام الإنكاري: وتجلى هذا المعنى في قول الشاعر الجواهري :(فيم التحايل بالخلود وملهم ... لحفيرة ومفكر لتباب)، (التحايل بالخلود): كناية عن البحث عن معنى للحياة بعد الموت .

– التكرار: تكرار الألفاظ المرتبطة بالفناء مثل (تراب) و(لتباب) وهو ما يعزز الجو العام للقصيدة، ويؤكد الفكرة المحورية حول زوال الحياة ،الذي أحد مصاديقه موت العباقرة أمثال الرصافي .

– الطباق: وهو الجمع بين المتضادين (٣٣) في النص، لإبراز الفكرة وإضافة عمق دلالي، إذ يظهر الطباق في النص الشعري على النحو الآتي: الطباق بين (الحياة) و(التراب) فالحياة هي (رمز الوجود والبقاء) والتراب هو (رمز الموت والفناء)، وهو ما يعكس التحول الحتمي من الحياة إلى الموت.

(١) الطباق المعنوي: حيث جمع الشاعر بين (القلب الذكي) المليء بالعاطفة والحيوية، و(المفازة الجرداء) التي ترمز إلى (الخواء والجفاف)، مما يعكس التحول من الإبداع إلى الجمود .

الطباق بين(الخلود) (رمز الاستمرار والبقاء) و(التباب) (رمز الزوال والفناء) وهو ما يُظهر فلسفة الشاعر حول عبثية محاولة الإنسان الهروب من الموت .

(٢)الجناس : هو محسن بديعي لفظي، يكون عند اتفاق كلمتين، أو تشابههما في اللفظ، واختلافهما في المعنى(٣٤).

تمثل الجناس في النص الشعري في :(الألباب ، تراب) وهو جناس غبو تام، ولكنه قريب في الإيقاع الصوتي، مما يعزز النغمة الموسيقية للنص ويُبرز التحول المأساوي من الوجود والعقول، إلى الزوال والأفول، ونظير ذلك نجده في قوله :(سراب، تراب) جناس ناقص (اختلاف في الحرف الأول)، حيث يوحي السراب بالوهم والأمل الكاذب، بينما يعبر التراب عن النهاية الحتمية.

ومجمل القول: إن الطباق في النص يعزز التناقض بين الحياة والموت، الذكاء والجمود، والخلود والفناء، مما يعمق المعنى الفلسفي للنص .

أما الجناس فيضفي نغمة موسيقية ويبرز التوتر بين الوهم والحقيقة، مما يسهم في انسجام النص وإبراز معانيه بشكل

فني .

– التصوير المجازي: وتمثل هذا المعنى في قوله: (القلب الذكي مفازة جرداء) وهي استعارة تشير إلى حالة الفراغ الروحي بعد الموت، مما يُبرز فقدان الخصوبة الفكرية والإبداعية التي كانت تميز الرصافي عن سواه . وقريب من ذلك نجده في (خفوق سراب) فهو تشبيه يحمل دلالة رمزية على خيبة الأمل، حيث حتى السراب الذي يوحي بالأمل الكاذب في الصحراء أصبح غائباً..

أظهر الجواهري في هذه الأبيات براعته البلاغية عبر توظيفه الاستعارات، الكنايات، التساؤلات الإنكارية، والتصوير المجازي للتعبير عن أفكاره الوجودية حول الحياة والموت، فالنص يشحن القارئ بتأمل عميق حول الفناء البشري، ويبرز قدرة الجواهري على المزج بين الفلسفة والشعر في قالب بلاغي بديع .

وفي مقطع آخر من القصيدة يطالعنا الجواهري بأمنياته الحائرة قائلاً:

ليت السماء الأرض ليت مدارها ... للعبقري به مكان شهاب

يوما له ويقال: ذاك شعاعه ... لا محض أخبار ومحض كتاب

يا معشر الأدباء غر جهودكم ... في المكرمات عريقة الأنساب

من كل محروم الثواب معاقب ... في هذه أو تلك شر عقاب(٣٥) .

القصيدة تتميز بأسلوب يجمع بين الرثاء والتأمل الفلسفي، حيث يعبر الجواهري عن حزنه العميق لفقدان شخصية أدبية كبرى مثل الرصافي، مستعملًا لغة رصينة وفخمة تتناسب مع قيمة الفقيد إذ يمزج النص بين التعبير الشخصي والنظرة العامة لقيمة الأدباء في المجتمع، مع التركيز على فكرة المصير الإنساني .

١ – المستوى اللغوي: يمكن رصده في النص عبر:

أ– فخامة الألفاظ :إذ وظّف الجواهري كلمات ذات وقع قوي مثل: (العبقري، الشهاب، المكرمات، والعقاب)، مما يضفي جلالًا وسطوة على النص .

ب. التكرار: ويظهر في استعمال صيغة التمني(ليت)، مما يعكس الحنين إلى تحقيق المحال، كإيجاد مكانة خالدة للعباقرة أمثال (الرصافي) .

المستوى البلاغي : يمكن أن نستشفه عبر:

أ– الصور البيانية: متمثلة بـ الاستعارة : في قوله: (مكان شهاب) فهي استعارة تمثل العبقري كشهاب يضيء الحياة ولكن مصيره الاحتراق، في إشارة إلى عظمة الرصافي وحتمية أفوله .

ب. التضاد : النص يحتوي على تضاد بين (المكرمات) و(العقاب)، مما يعكس التناقض بين جهود الأدباء وما يواجهونه من تجاهل أو إقصاء في الحياة .

ج. التشبيه : لم يوظف الشاعر التشبيه بشكل مباشر هنا، لكن الصورة الكامنة في قوله: (مكان شهاب) تجعل العبقري يتسم وينشبه بخصائص الشهاب: (السطوع) و(الغياب السريع)..

إن قصيدة الجواهري في رثاء الرصافي، لا تقتصر على التعبير عن الحزن، لفقدان شخصية أدبية بارزة، بل تتغلغل في استحضار أنساق ثقافية عميقة، تسلط الضوء على مكانة الأدباء والشعراء في مجتمعاتهم، هذه الأنساق المضمرة تعكس تداخلًا بين البعد الثقافي والاجتماعي والفكري، وتستدعي التأمل في العلاقة بين الإبداع والتضحية، وبين المبدع والمجتمع، ولأجل البرهنة على عمق التعبير في هذه القصيدة سوف نخضع مقطع منها للتمحيص وذلك في قوله :

ليت السماء الأرض ليت مدارها ... للعبقري بـه مكـان شهـاب

يا معشر الأدباء غر جهودكم ... في المكرمات عريقة الأنساب

من كل محروم الثواب معاقب ... في هـذه أو تلك شـر عقاب

يا زمرة الشعراء شف نفوسهم ... فرطان: فرط جوى وفرط عذاب

ذابوا ليسقوا الناس من مهجاتهم خير الشراب مشعشع الأكواب
وتحرقت منهم لتعلي شعلة لبلادهم كتل من الأعصاب
ناشدتكم بوشائج من فكرة وعقيدة ورسالة ومصاب
من منكم رغم الحياة وعبئها لم يحتسب للموت ألف حساب(٣٦) .

في هذا النص استنبطنا عددًا من الأنساق المضمرة نذكر منها:

١– نسق المثقف المضحي : وقد تمظهر هذا المعنى في قوله :(يا معشر الأدباء غرّ جهودكم في المكرمات عريقة الأنساب)، النسق هنا يتمثل في فكرة التضحية المثالية التي يقدمها الأدباء إذ يرى الجواهري أن الأدباء يعملون لتحقيق المكرمات والإسهامات العظيمة، لكن جهودهم سرعان ما تُهَمَّش وتُنسى .

يظهر هذا النسق إحباطاً مزدوجاً؛ حيث إن المبدعين يُضحون من أجل القيم السامية، بينما لا يُكافؤون في حياتهم ولا بعد موتهم، هذا النسق يعكس نزعة ثقافية ترى المثقف كرمز اجتماعي مضحي، يقدّم إبداعه رغم قسوة الحياة.

٢– نسق المعاناة الإبداعية: وهذا المعنى نستشفه في قوله: (يا زمرة الشعراء شف نفوسهم فرطان: فرط جوى ، وفرط عذاب) ،هنا يظهر نسق المعاناة كأساس لإبداع الشاعر إذ يؤكد أن الألم الداخلي (الجوى والعذاب) هو جوهر تجربة الشاعر، وهو الذي يمده بالطاقة ليبدع ، إن الأنساق المضمرة في هذا النص توحي بأن الشاعر الأديب يحمل معاناة جماعية، ويتحمل عبئها نيابة عن الآخرين، الأنساق المضمرة في هذا النص توحي بأن الشاعر الأديب يحمل معاناة جماعية، ويتحمل عبئها نيابة عن الآخرين .

٣– نسق الإيثار الإبداعي: إذ تمظهر في قوله : (ذابوا ليسقوا الناس من مهجاتهم خير الشراب مشعشع الأكواب)، النسق المضمر هنا يتمثل في الإيثار الإبداعي، حيث يقدّم الشعراء عصارة أرواحهم وتجاربهم المؤلمة كشراب لذيذ للناس، فهذا التصوير يعكس ثقافة ترى أن المبدع هو كالشمعة تحترق لتضيء للآخرين، فهو في تضحية مستمرة .

٤– نسق المسؤولية الثقافية: وتتجسد بالنص الآتي : (ناشدتكم بوشائج من فكرة وعقيدة ورسالة ومصاب) هنا يظهر نسق المسؤولية المرتبطة بالمثقف، حيث يتحدث الشاعر عن الروابط الفكرية والعقائدية التي تربط المبدعين بمجتمعهم .

٥– نسق التمرد على الموت: ونتلمسه عبر النص الآتي: (من منكم رغم الحياة وعبئها لم يحتسب للموت ألف حساب)، في هذا البيت، يظهر نسق التمرد على الموت الذي يمثله الشاعر، الموت هنا ليس مجرد نهاية حتمية، بل عدو يتربص، والمبدع يستعد لمواجهته.

النسق هنا يبرز الموت كفكرة حاضرة دومًا في ذهن المبدعين، ولكنه أيضًا يتقاطع مع فكرة الخلود الأدبي الذي يضمن استمرار تأثيرهم بعد الفناء الجسدي ، هذا النسق يعكس مفهومًا ثقافيًا مرتبطًا بالخوف من الفناء الجسدي، لكنه يوازيه إيمان بالخلود الرمزي عن طريق الأعمال الإبداعي.

٦– نسق العبقرية المهملة: ويمكن رصدها في قول الشاعرالجواهري :(وتحرقت منهم لتعلي شعلة لبلادهم كتل من الأعصاب)

عبّر الشاعر في هذا النص عن نسق مضمر، يتمثل في عبقرية مهملة تُستنزف، لخدمة المجتمع. فالشعراء والمبدعون يضحون بصحتهم النفسية والجسدية لرفع شأن وطنهم، لكنهم غالبًا ما يُهمشون أو لا يُعترف بجهودهم ،فالنسق هنا يشير إلى تناقض بين دور المثقف كصانع حضارة ، وموقف المجتمع منه كمستهلك عابر لإبداعاته ،كما أن هذا النسق يعكس واقعًا مألوفًا في السياق الثقافي العربي حيث يُستنزف المبدعون في خدمة قضايا كبرى من دون الحصول على التقييم المناسب .

إن قصيدة الجواهري في رثاء الرصافي عكست أنساقاً ثقافية مضمرة منطلقة من تجربة الشاعر الشخصية في التعبير عن هموم جماعية تتعلق بموقع المثقف والأديب في المجتمع..عن طريق نسق المثقف المضحي، والمعاناة

الإبداعية، والإيثار الثقافي، إذ كشف النص عن رؤية تشاؤمية أحيانًا تجاه وظيفة الأدباء، لكنه أكّد قيمتهم الخالدة ،رغم التجاهل الذي قد يواجهونه.

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث، وبعد استعراض مظاهر حضور الرصافي في شعر الجواهري، إذ تبيّن لنا أن هذا الحضور لم يكن مجرّد تقليد أو تأثّر عابر، بل كان امتداداً فكرياً وأدبياً يعكس تواصل الأجيال الشعرية في الدفاع عن قضايا الأمة المصيرية ، لقد مثّل الرصافي مدرسة شعرية وطنية متكاملة، تجلّت مبادؤها في شعر الجواهري الذي حمل على عاتقه مسؤولية التعبير عن هموم الشعب وطموحاته .

لقد رأينا كيف تأثّر الجواهري بوضوح بنهج الرصافي في طرح القضايا الاجتماعية والسياسية، لان الشاعر الرصافي متجذر في وجدان الشاعر الجواهري قبل التمظهر بشعره، ومن مظاهر ذلك الحضور هو مطالبة الشاعر الجواهري– في كثير من المواطن– بإنصاف الرصافي قولاً وفعلاً ، فضلاً عن القصائد الجواهرية المفعمة بالحب والعاطفة الجياشة التي سطرها الشاعر الجواهري في الرصافي في حياته، وبعد مماته، مع التزامه بنقل الواقع بصورته الصادقة، بعيداً عن التكلّف والمجاملة، ومع ذلك، لم يكن هذا الحضور على حساب شخصية الجواهري الشعرية، بل كان مصدر إلهام دفعه إلى تقديم إبداعه بأسلوبه الخاص وروحه المتفرّدة .

وبذلك، يمكن القول: إن حضور الرصافي في شعر الجواهري هو حضور فكر ومدرسة شعرية، اتحدت في رؤيتها الوطنية والإنسانية، إذ تؤكد الدور الفاعل للشعر في توعية المجتمع والدفاع عن قضاياه العادلة.

الهوامش :

(١) ينظر: شعراء العراق في القرن العشرين، يوسف عز الدين، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، مطبعة أسعد، بغداد، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩م: ٥٨.

(٢)ينظر: الأدباء العراقيون المعاصرون وانتاجهم، سعدون الريس، بغداد، ١٩٦٥م : ٨٥، وينظر: تطور الفكرة والاسلوب، داود سلوم، رسالة ماجستير، معهد الدراسات الشرقية، لندن، ١٩٥٥، : ٩٩، وينظر: شعراء الثورة العراقية اثناء الاحتلال البريطاني في العراق، خضر العباسي، دار المعرفة، بغداد، د. ت، :١٠٧، وينظر: شعراء عراقيون، منذر الجبوري، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، ط١، ١٩٧٧ م : ٣٧.

(٣) مذكراتي محمد مهدي الجواهري، ج١، ط١، مطبعة قلم، دار المجتبى، ١٣٨٤هـ، ٢٠٠٥م: ٤٠.

(٤) المصدر نفسه : ١٢٧.

(٥) مذكراتي، ج١ : ٣٣٩.

(٦) المصدر نفسه : ٢٢٩.

(٧) المصدر نفسه : ١٢٧.

(٨) المصدر نفسه : ١٢٥.

(٩) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(١٠) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(١١) ديوان الرصافي اتم شرحه وصححه مصطفى السقا، ط٤، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد مصر، ١٣٧٣ هـ، ١٩٥٣م.

(١٢) مذكراتي، ج١ : ١٢٦.

(١٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(١٤) المصدر نفسه:٢٣٣.

(١٥) لم اعثر على هذين البيتين في ديوان الرصافي، ورد ذكرهما في كتاب مذكراتي ج١: ٢٣٤.

(١٦) ديوان الرصافي، شرح وتعليقات مصطفى علي، ط٢، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦، ج٣: ١٤٧.

(١٧) مذكراتي، ج١ :٢٣٥.

(١٨) المصدر نفسه، ص٢٣٦–٢٣٧.

(١٩) المصدر نفسه، ص٢٦٦–٢٦٧.

(٢٠) المصدر نفسه, ص٢٧٠.

(٢١) نظمت في عام ١٩٤٠ والشاعر الجواهري في حالة من التأثر النفسي، نشرت في جريدة الرأي العام ، العدد ٤٥٤ في ١٩٤١/١/٢٨.

(٢٢) الأعمال الشعرية الكاملة محمد مهدي الجواهري، دراسة وتقديم عصام عبد الفتاح، ط١، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة،

٢٠١١م : ٣٨٢.
(٢٣)الأعمال الشعرية الكاملة، معروف الرصافي، دار العودة بيروت، د.ت:٣٧٤.
(٢٤) مذكراتي، ج١، :٢٤٠.
(٢٥)الأعمال الشعرية الكاملة، محمد مهدي الجواهري ج١ :٤٠٧ ، ونشرت في جريدة الرأي العام العدد ١٠٠٨ في ١٥ / ١٩٤٤/٥م.
(٢٦) الأعمال الشعرية الكاملة، محمد مهدي الجواهري ج١ :٤٠٧.
(٢٧) ديوان معروف الرصافي، معروف الرصافي، مراجعة، مصطفى الغلاييني، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٤م :٤٠٩.
(٢٨) ديوان معروف الرصافي:٤٠٩.
(٢٩) المصدر نفسه، :٤٠٩–٤١٢ .
(٣٠) المصدر الأعمال الكاملة :٣٧–٤٢ .
(٣١) ديوان الجواهري (محمد مهدي الجواهري)،الأعمال الكاملة ،ط٢، دار الحرية للطباعة والنشر،٢٠٠١م .
(٣٢) الأعمال الشعرية الكاملة، محمد مهدي الجواهري ج٢: ١٦٦.
(٣٣) ينظر: اساس البلاغة، ابو القاسم بن عمرو بن احمد الزمخشري (٥٣٨هـ)، ت محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١٤١٩،١هـ / ١٩٩٨م، ج١: ٥٩٥، وينظر: لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م : ٢٠٩/١٠، وينظر: المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتزاني (٧٩٢هـ) ،(د.ط)، مطبعة أحمد كامل، ١٣٣٠هـ :٦٤١ ، وينظر: الاضداد في كلام العرب، ابو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي،(ت٣٥١هـ)، حققه د.عزة حسن، ط١، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق،١٩٦٣م، :١١
(٣٤)ينظر: البديع في البديع :ابو العباس عبدالله بن محمد المعتز(ت ٢٩٦هـ)، ط١، دار الجيل،١٩٩٠م : ٢٥، وينظر: مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (٦٢٦هـ)، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان،١٩٨٧م :٤٢٩، وينظر: البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قليقلة، د.ط ،الناشر دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٧م :٣٢٨ .
(٣٥) الأعمال الشعرية الكاملة ، محمد مهدي الجواهري ج٢: ١٦٦.
(٣٦) الأعمال الشعرية الكاملة، محمد مهدي الجواهري ج٢: ١٦٦–١٦٧.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم
– الأدباء العراقيون المعاصرون وانتاجهم ، سعدون الريس ، بغداد، ١٩٦٥م :٨٥.
– اساس البلاغة، ابو القاسم بن عمرو بن احمد الزمخشري (٥٣٨هـ)، ت محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ط١، ١٤١٩هـ /١٩٩٨م.
– الاضداد في كلام العرب ، ابو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي،(ت٣٥١هـ)، حققه د.عزة حسن، ط١، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق،١٩٦٣م.
– الأعمال الشعرية الكاملة محمد مهدي الجواهري ، دراسة وتقديم عصام عبد الفتاح ،ط١، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة ، ٢٠١١م.
– البديع في البديع :ابو العباس عبدالله بن محمد المعتز(ت ٢٩٦هـ)، ط١، دار الجيل،١٩٩٠م .
– البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قليقلة، د.ط ،الناشر دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٧م .
– تطور الفكرة والاسلوب، داود سلوم ، ، معهد الدراسات الشرقية لندن، ١٩٥٥م.
– ديوان الرصافي اتم شرحه وصححه مصطفى السقا ، ط٤، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد مصر، ١٣٧٣ هـ ١٩٥٣م.
– ديوان الرصافي ، شرح وتعليقات مصطفى علي، ظ٢، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦، ج٣.
– شعراء الثورة العراقية اثناء الاحتلال البريطاني في العراق، خضر العباسي، دار المعرفة، بغداد، د. ت. – – شعراء العراق في القرن العشرين ، يوسف عز الدين ، ساعدت جامعة بغداد على طبعه مطبعة أسعد، بغداد، ١١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩م .
– شعراء عراقيون، منذر الجبوري، الجمهورية العراقية وزارة الإعلام ، ط١ ١٩٧٧ م
– مذكراتي محمد مهدي الجواهري، ج ١،ط١، مطبعة قلم، دار المجتبى ١٣٨٤هـ، ٢٠٠٥.
– المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، سعد الدين التفتزاني (٧٩٢هـ) ،(د.ط)، مطبعة أحمد كام، ١٣٣٠هـ.
– مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (٦٢٦هـ) ،ط٢ ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،١٩٨٧م.
– لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)، دارصادر، بيروت،ط١،٢٠٠٠م .

الصحف:

– جريدة الرأي العام ، العدد ٤٥٤ في ١/٢٨/ ١٩٤١م .
– جريدة الرأي العام العدد ١٠٠٨ في ١٥/ ١٩٤٤/٥م .